

(بعد اسبوع)

مولاي . . . طلبت اليّ « جان » ان اكل هذه الرسالة وأبعث بها اليك فقد علمت عنوانك ولا شك انك تود الوقوف على خبر منها . مسكينة « جان » ! انها تحبك حتى الموت وتزدرى العالم كله من اجلك . مضى عليها يومان وهي في غيبوبة لا تشعر معها بشيء وتراني جالسة الى سريرها اذرف العبرات ولكنتي أتجلد قدامها وأتعلم بالآمال . قلت لها اول البارحة ان الطبيب شديد الأمل بشفاائك فابتسمت ابتسامة ازدراء وأدارت رأسها على وسادتها كأنها تقول « أنا أخبر بنفسي من الطبيب » حقاً لو تراها اليوم لأدهشك كم قد غيرها الزمان . ليتك تحضر وتشاهدها فلعل رؤيتك تعيد اليها شيئاً من الحياة . . .

مراسم سنابل

(بقلم سليم عبد الاحد)

## الحرب اليونانية العثمانية

﴿ موقعة دوموكوس <sup>(١)</sup> ﴾

يوم ١٧ مايو ( ايار ) سنة ١٨٩٧

عند الساعة الرابعة من صبيحة هذا النهار نبّه البوق الجنود العثمانيين ، فهبوا من رقادهم ، وعكفوا على الصلاة ، فكان لهم لعط في غدر ذلك الوادي

(١) لا انتشبت الحرب اليونانية العثمانية سنة ١٨٩٧ كان « يار ميل » Pierre Mille الصحافي الفرنسي مندوب جريدة « الدنيا » Débats فيها . وقد كتب في وصف المعارك التي حدثت بين العثمانيين واليونانيين فصولاً شائعة

الفسيح . ثم مالوا الى القهوة فكانوا يشربونها ، وهم يسرجون خيولهم ويتحدثون ، فتبدل لعظهم حينئذٍ بضوضاء شديدة كان يخالطها ضجيج الفرخ لشعورهم بانهم كانوا يتأهبون في تلك الساعة للحرب والكفاح .  
 اما انا فسقت جوادي اريد اللحاق بفرقتي نشأت باشا وخيري باشا ،  
 لاني كنت قد عقدت النية على ان لا أصف الا ما أراه بعيني ، ولا  
 اكتب الا عن يقين

وكانت الى جانبنا اليمين طريق دوموكوس التي كنت مزعماً ان  
 اسلكها مجتازاً في ختامها تلة غير مرتفعة لا يكثر لها . على انه كان أمامنا  
 في منحدر ذلك التل ممرٌ وعرٌ ، ناشز الصخور ،

كثير الثلوم كأن الفتي اذا زلَّ يهوي على مبردٍ

وكان هذا الممر الضيق ينتهي من الجانب الآخر بفرسالا وهو  
 أقرب الطرق الى ذلك السهل ، ولصكته ليس بالسبيل الوحيد اليه لأن

---

اخترنا منها وصفه لمركة « دوموكوس » فترجمناه بمناسبة شوب الحرب الحاضرة  
 في طرابلس الغرب . والكاتب المذكور وُلد في سنة ١٨٦٤ وكان مكاتباً لجريدة  
 « الدنيا » في مداغسكرا اثنان الثورة التي شبت في تلك الجزيرة سنة ١٨٩٦ . ثم  
 انتدبه تلك الجريدة نفسها ليمشي في صفوف العثمانيين في الحرب اليونانية العثمانية .  
 ثم اختارته جريدة الطان Le Temps المشهورة رئيساً لتحرير اقسام السياسي  
 الخاص بالمستعمرات فاقام في هذه الوظيفة من سنة ١٩٠١ الى سنة ١٩١١ وقد  
 نال من حكومته نشان اللجيون دونور من رتبة شفاليه Chevalier de la  
 Légion d'Honneur وله كتاب مشهور عنوانه « من تساليا الى كريت »  
 De Thessalie en Crète ومؤلفات اخرى تدل على مكانته وفضله في  
 عالم الادب

هنالك طريقاً أخرى كان يمكننا ان نسلكها عن جانبنا الشمالي الأقصى وهي ممتدة من « فاليستينون » على مقربة من الشاطئ البحري الى « خالميروس » من حيث تسهل مهاجمة « دوموكوس » ولكن من ورائها لا من أمامها مواجهة . وكانت خطة الجيش العثماني ان يسير نشأت باشا والحاج خيرى باشا بكتيبتيهما الأولى والثانية في الطريق الأولى الوعرة فيهاجمان دوموكوس من الامام، وان يمشي ممدوح باشا وحقي باشا بفرقتيهما الثالثة والرابعة متبعين الطريق الاخرى فيهاجمانها من الورا بحيث يطوق العثمانيون دوموكوس ويلتفون حولها . اما انا فاتبعت الفصيلتين الهاجيتين من الامام !

وصعدنا الى التل واجتزناه مسرعين حتى اذا دخلنا في الممر الضيق ابصرنا مسيل ماء ينحدر على الصخور الناتئة الى وادٍ، بينا هو يتسع أمامنا اذا به يضيق كثيراً من الجنوب وقد اخضر زرعهُ وارتفعت فيه سنابل الشعير ارتفاعاً كثيراً عن الارض كانت تظهر لنا في وسطه ومن خلاله قبالة اطرافه العالية ، قرى كبيرة تحيط بها تلك السهول الخضراء فتبين لنا كالجزر في البحر . ومشى جنود خيرى ونشأت في وسط تلك الزروع فاستولوا على أقرب القرى بدون ان يتكبدوا خسارة ما . وكان رجال المدفعية يطلقون القنابل من خلال سنابل الشعير العالية فلم نكن نستطيع ان نعلم قوة تأثيرها في العدو الا ساعة كانت تشب النار في مراميها ويصعد اللهب الى السماء ويبين لنا دخان القرى المحترقة كعمود منتصب في الفضاء . اما اليونانيون فاخذوا يطلقون علينا مدافعهم ولكننا

كنا نرى فرسانهم يحثون خيولهم هارين مسرعين . ولم يكن يعبأ  
العثمانيون بيران العدو بل كانوا يتقدمون الى الامام وهم لا يطلقون بنادقهم  
لان قنابل مدافعهم كانت تكفل لهم وحدها هزيمة اليونان  
وكان هؤلاء قد تكاثروا عددهم وتآلبت جموعهم حينئذ ، غير ان المدافع  
العثمانية امطرتهم نارا حامية فرأينا احدي كتابيهم قد نكصت على اعقابها  
وارتدت الى الوراء تريد الالتجاء الى دوموكوس . فكان ذلك بدء انهزامهم  
لانا ما لبثنا ان رأينا فرقهم تتشتت عن شمالنا ، وتحرق القرى والساكر  
في طريقها وهي قارة لا تلوي على شيء . وتصاعد لهيب النار حينئذ الى  
عنان الجو ، وتلبد الدخان في الفضاء فذعرت الطير في اوكارها ، ورؤعت  
اللقاق في اعشاشها فكنا نراها هاربة خائفة تمر فوق رؤوسنا مرور  
السهام أطلقت عن القوس

وكان العثمانيون يتقدمون بسرعة الى مواقع العدو حتى اصبحنا  
نرى الجيشين مرأى العين . وحينئذ انفصلت الفرقان العثمانيتان فمشت  
فرقة نشأت باشا بقدم ثابتة في وسط السهل الى شبه تلة صخرية عالية ،  
وسارت فرقة الحاج خيرى باشا الى الشمال . وكان اليونانيون قد تحصنوا  
خلف قم من التراب اقاموها للاحتماء بها فاخذوا يطلقون نيرانهم من  
ورائها . ووقعت في تلك الساعة قبلة على قيد خطوتين منها وكنيتها لم  
تنفجر ولم ترحح الكولونل « بوي دلاتور » رئيس البعثة السويسرية  
الحرية الذي كان واقفا الى جاتي فالتفت الي وتبسم ابتسامة معنوية ،  
ثم تناول علبة « طون » من جرابه وأشار الي فتقدمت منه واقسمناها

معاً . وهي منة له عليّ لن انساها أبد الدهر . ثم صعدنا الى التلة الصغيرة فاشرفنا منها على العسكريين وقد التقيا وجهاً لوجه . ولم تكن الا دقائق قليلة حتى شبت بينهما نيران معركة طاحنة . وكنا نسمع في الوقت نفسه دوي البارود ، ونرى تفجر القنابل من الجانب الآخر حيث كان قد سار خيرى باشا برجاله

ولما طال أمد المعركة وقد صمت آذاننا ، وغشا الدخان عيوننا أبصرنا فريقاً من المشاة العثمانيين هاجماً على قلب المسكر اليوناني وقد أخذ اليونانيون يصوبون رصاصهم عليه وهو سائر غير مكترث . فها هي الأهنية حتى تزحزح اليونان عن مراكزهم وارتدوا الى الوراء . وكانت طلقات البنادق المتواصلة حينئذٍ أشبه بقرعة الآلة الكتابة تكتب عليها يد خفيفة رشيقة

وحدقنا بابصارنا الى جهة اليونانيين فرأينا احدى الفرق قد غادرت مركزها في القلب حيث هجم العثمانيون وولت الادبار منهزمة الى جهة دوموكوس . ولكن ضابطاً يونانياً خف اليها فردها الى مواقعها اما فرقة الحاج خيرى باشا فالتنا لم ترها ولم نعرف اخبارها الا حين صرنا نرى اليونانيين يفرّون من قدامها من الجانب الايسر المحاذي للتل الذي كنا واقفين عليه . فتحققنا حينئذٍ ان النصر تمّ او كاد يتمّ للعثمانيين . وفي تلك الساعة وصلت الى ساحة القتال فرقتان لانجاء العثمانيين أرسلهما آدم باشا فانضمتا الى خيرى باشا وعززتا موقفه وأبصرت آدم باشا حينئذٍ راكباً جواداً صغيراً هزياً وهو رجل

ذكي الفؤاد رزين بارد الطبع ، وقد تقدم منه احد الضباط طالباً اليه أن  
يصدر أوامره بالهجوم على الاعداء ولكنه لم يجاوبه بل تبسم ثم التفت  
الى ضابطين واقفين حذاءه فاسر اليهما كلمتين فهما بعدئذٍ معناهما اذ  
أبصرنا فرقتي ممدوح باشا وحقي باشا قد ظهرتا للعيان وأتمتا حركة  
الاتفاف حول دوموكوس

وأصبح اليونانيون حينئذٍ تحت رحمة العثمانيين اذ طوّقهم هؤلاء من  
الجهات الأربع . فلما تبينا هذه الحقيقة تقدم الملحق العسكري الالماني من  
أدهم باشا وقال له : « انك تستطيع يا حضرة القائد أن توجد في هذا  
المكان معركة « سيدان » Sedan أخرى فان اليونانيين كما ترى قد أخذوا  
في الشبكة ولن يستطيعوا الانقلاط منها » فسكت ادهم باشا ولم يكثر  
لما قيل له . فقلت في نفسي حينئذٍ ان هذه الحرب انما تجمع بين السياسة  
والحرب معاً . فالعثمانيون كما يخيل اليّ لا يريدون التماذي في التساوة  
والضغط على اليونانيين لكيلا يثور عليهم الرأي العام في اوروبا والآ  
لكانوا قادرين ان يفعلوا اضعاف اضعاف ما فعلوه

\*  
\* \*

ولما أصبح الصباح التالي كان العثمانيون قد بلغوا منتهى آمالهم . وقد  
أشرفت طلائعهم على « لاميا » بلاد اليونان الحقيقية ، ووطنهم الاصيل  
القديم . وكان الألبانيون اولئك الشجعان الصناديد لا يزالون يطلقون  
بنادقهم على العدو الذي كان قد ربط في رؤوس بنادقه المناديل البيضاء  
كأنما كان يريد أن يقول : « رحماك فان الصلح قد تم »

هكذا انقضت هذه المعركة ، بل هكذا انقضت هذه الحرب التي  
لم تكن إلا أشبه شيء ، بمأساة تمثيلية مثلت سهول فرسالا آخر فصولها  
المحزنة

بيار ميل

مكاتب جريدة « الدنيا » الحربي

وبعد هذه التفاصيل المنقولة عن شاهد عياني نروي الايات الآتية لشوقي بك  
من قصيدته العصاة التي وصف فيها تلك الحرب أبلغ وصف ، قال في الهزيمة :

ونادى منادٍ للهزيمة في الملا	وان منادي الترك يدنو ويقربُ
فأعرض عن قواده الجند شاردًا	وعلمهُ قواده كيف يهربُ
وطار الاهالي تافرين الى الفلا	مئين وآلافًا تهيم وتسربُ
نجوا بالنفوس الذاهلات وما نجوا	بغير يدٍ صفرٍ واخرى تقلبُ
يسير على اشلاء والده الفتى	وينسى هناك الموضع الام والابُ
وتمضي سرايا واطناتٍ بخيلها	أرامل تبكي او ثواكل تندبُ
فمن راجلٍ تهوي السنون برجله	ومن فارس تمشي النساء ويركبُ
يكادون من ذعرٍ تفرُّ ديارهم	وتنجو الرواسي لو حواهن مشعبُ
يكاد الثرى من تحتهم يلج الثرى	ويقضم بعض الارض بعضًا ويقضبُ
تكاد تمسُّ الارض مساً نعالهم	ولو وجدوا سبلاً الى الجؤ نكبوا
هزيمة من لا هازم يستحشهُ	ولا طاردٌ يدعو لذاك ويوجبُ

